إضاءة على ..
أحكام تذكير وتأنيث العدد
والمعدود في النحو العربي ...

بقلم: الأستاذ سمير كتاني

تشير جميع مصادر النحو إلى أن الأعداد ثلاثة إلى عشرة التي تعبّر عن معدود مذكر تنتهي بالتاء المربوطة (فيقال: خمسة أبْغُل[1] وأربعة أحمرة[2]). وكذلك يجب حذف التاء المربوطة من الأعداد الآنفة الذكر إذا كانت تعبّر عن معدود مؤنث (فيقال مثلاً: أربع أتُن[3]).

وفي القرآن الكريم شواهد عديدة ارتكز عليها أصحاب مصادر النحو في صياغة القاعدة المذكورة أعلاه، نذكر منها ما يلي:

﴿سخّرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام﴾[4]

﴿في أربعة أيام سواءً للسائلين﴾[5].

﴿على أن تأجرني ثماني حجج﴾[6].

﴿فصيام ثلاثة أيام﴾[7].

وكان ابن مالك قد ذكر في ألفيّته بيتي شعر تظهر فيهما قواعد تذكير وتأنيث العدد وقواعد إعراب المعدود وصياغة جمعه:

ثلاثة بالتاء قل للعشرة
في عدّ ما آحاده مذكّرة
في الضد جرّد والمميّز أجرر
جمعًا بلفظ قلة في الأكثر[8]

يذكر ابن عقيل أن الصيغة الفضلى لجمع المعدود بعد الأعداد أعلاه (٣-١٠) هي صيغة جمع القلّة[9]، وهذه الصيغة من شأنها أن تناسب العدد الذي أسند إليها من حيث الكمية. (من الأمثلة على ذلك: ثلاثة أفلس وثلاث أنفس). ولكن إذا لم يكن للمعدود صيغة كهذه يسند العدد إلى صيغة

الجمع[١٠]، إلا أنه يمكننا ملاحظة استخدام صيغة جمع الكثرة بالرغم ما ذكر آنفًا مع الأعداد (ثلاثة ـ عشرة). وخير مثال على ذلك ما ورد في القرآن الكريم ﴿والمطلقات يتربّصن بأنفسهنّ ثلاثة قروء﴾[١١]. فقد وردت هذه الصيغة بالرغم من وجود صيغة جمع القلّة للاسم «قرء»[١٢].

ولكن هناك أسماء لا ترد إلا بصيغة جمع الكثرة، لهذا نرى استخدام هذه الصيغة في الأعداد (٣-١٠) مثل الكلمة: شسع، فلا يقال أشسع، وإنما نجد التعبير شسوع، فيقال: ثلاثة شسوع[١٣].

إن ظهور التاء المربوطة في الأعداد الدالّة على معدود مذكّر واختفاءها من الأعداد الدالّة على معدود مؤنث له عدّة أسباب، نبيّن منها ما يلي استناداً إلى بعض أقوال النحويين القدامى:

١. إنّ التاء المتّصلة بالعدد الذي يشير إلى «كمية» معدود مذكر هي علامة تذكير وليست بعلامة تأنيث، وهي التاء ذاتها التي نجدها في الأسماء: علاّمة، ونسّابة. وهي تختلف عن التاء المربوطة الواردة في الأسماء: قائمة، وضاربة[١٤].

٢. هناك أسماء مؤنثة لا تظهر عليها علامات التأنيث. كالأسماء: عقرب وقِدر وشمس وعين. وهذه الأسماء تبقى مؤنثة بالرغم من ذلك، ولها نفس حكم التأنيث في أسماء تظهر عليها علامات التأنيث كالتاء المربوطة والألف والهمزة (كما في الأسماء: ذاهبة وبيضاء).

وبما أن الأسماء المذكورة أعلاه تقع في حكم التأنيث لأنها مؤنثة بمعناها، لم تكن هناك حاجة للإشارة إلى أنها تعبّر عن أسماء مؤنثة، فيقال: ثلاث نسوة وثلاث عقارب، (بدون إضافة التاء)[١٥].

٣. جميع الأعداد مؤنثة بطبيعتها، ولكن قسمًا منها تظهر التاء في آخره (مثل: ثلاثة) وقسمًا لا تظهر التاء فيه (مثل: ثلاث) والأمر يخضع لحكم الكلمة الدالة على المعدود[١٦].

٤. إن الأعداد مؤنثة جميعًا، ولكن بما أن صيغة التذكير هي الصيغة الأساسية التي تشتق منها صيغة التأنيث، كانت هي الأولى في استحقاق التاء المربوطة.

فنجد أن المعدود المذكر قد لحقت التاء بالعدد الذي دل عليه ، في حين تخلو الأعداد التي تسبق معدوداً مؤنثًا منها[١٧].

٥. إن صيغة الاسم المذكر هي أبسط من صيغة الاسم المؤنث ، لذا كان هو الأولى في «تحمّل» علامة التأنيث في نهايته[١٨].

٦. تضاف التاء المربوطة إلى الاسم لبناء صيغة المبالغة (مثل علامة ونسّابة) ، وبما أن التذكير أولى من حيث الأفضلية من التأنيث كان الأخلق باكتساب هذه العلامة التي من شأنها أن تشير إلى «علوّ شأن» الاسم الذكر[١٩].

٧. تصاغ قاعدة الأعداد حسب صيغة جمع الأسماء على وزن فعال . فإذا كانت صيغة جمع الاسم المذكر المفرد على وزن "فعال" هي "أفعلة" ، وصيغة جمع الاسم المؤنث المفرد على وزن فعال هي "أفْعُل" ، كانت التاء لازمة للمعدود المذكر ، ومحذوفة من نظيره المؤنث[٢٠].

(من أمثلة الأسماء المذكورة أعلاه : من المذكر: غراب ، وجمعها: أغربة، ومن المؤنث: عقاب ، وجمعها: أعقب)[٢١].

وبالنسبة للأعداد المركبة والمعطوفة المبتدئة بالعدد ثلاثة وما فوق ، فإننا نجد أيضًا أن الشطر الأول من الأعداد المركبة ، والمعطوف عليه في الأعداد المعطوفة يخالف المعدود في تذكيره وتأنيثه .

تضاف التاء للشطر الأول من العدد المركب الذي يشير إلى معدود مذكر ولا تضاف إلى الشطر الثاني[٢٢] ويصبح الجزآن اسمًا واحداً ، مما يمنع إضافة علامة للتأنيث لاسم مؤنث استحق إحدى علامات التأنيث ، فلا يقال : حمراءة أو صفراءة ، وكذلك لا يقال ثلاثة عشرة[٢٣].

وقد حاول ابن يعيش أن يبرّر سبب ورود علامة التأنيث على كل شطر من شطري اسم العدد : أحد عشر واثنا عشر حينما يسبقان معدوداً مؤنثًا ، فيقال : إحدى عشرة امرأة ، واثنتا عشرة جارية . فيقول إن كل شطر يمتاز بعلامة تأنيث تختلف عن علامة تأنيث الآخر . لهذا نرى تماثلاً بين شطري الاسم من حيث تأنيث كل منهما[٢٤].

الهوامش

١. صيغة جمع القلّة .

٢. أنظر مثلاً: ابن جني، اللمع في النحو، ص٦٧.

٣. نفس المصدر السابق .

٤. سورة الحاقّة، ٧ .

٥. سورة فصلت، ١٠ .

٦. سورة القصص، ٢٧ .

٧. سورة البقرة، ١٩٦ .

٨. ابن مالك ، ألفية ابن مالك ، ص٥٤ .

٩. يرى ابن سراج أن الأعداد (٣-١٠) تعد معدوداً يرد بصيغة أدنى العدد، وهو على أحد الوزنين: أفعُل وأفعال. مثلاً "عشرة أجمال" و"خمسة أكلُب". أنظر ابن سراج، الأصول في النحو، ١، ص٣١١ .

١٠. ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ج٢، ص٤٠٥ .

١١. سورة البقرة، ٢٢٨ .

١٢. وهي الصيغة : أقراء . أنظر ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ٢، ص٤٠٦ .

١٣. المبرّد، المقتضب، ٢، ص ١٦٠، أنظر أيضًا الزمخشري، المفصّل، ص٩٤ .

١٤. المبرد، نفس المصدر، ص١٥٧.

١٥. الزجاجي، الجمل في النحو، ص١٢٥، أنظر أيضًا المبرّد، نفس المصدر السابق، ص١٥٧.

١٦. الزجاجي، نفس المصدر السابق، نفس الصفحة .

١٧. ابن الأنباري، أسرار العربية، ص٨٧-٨٨.

١٨. نفس المصدر السابق، ص٩٩.

١٩. نفس المصدر السابق، نفس الصفحة .

٢٠. نفس المصدر السابق، نفس الصفحة .

٢١. نفس المصدر السابق، نفس الصفحة .

٢٢. ابن حني، اللمع في النحو، ص٦٧. أنظر أيضًا المبرّد . المقتضب، ٢ ص١٦٣ .

٢٣. المبرّد، نفس المصدر السابق، نفس الصفحة .

٢٤. ابن يعيش، شرح المفصّل، ٦، ٢٦ .

ببليوغرافيا

١. القرآن الكريم .

٢. الأنباري، عبد الرحمن محمد بن أبي سعيد، أسرار العربية، ليدن، ١٨٨٦ .

٣. ابن جني، أبو الفتح عثمان، اللمع في النحو، أفساله . ١٩٧٦ .

٤. ابن السراج، محمد بن سهل، الأصول في النحو، بيروت، ١٩٨٥.

٥. ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله، شرح ألفية ابن مالك، ٢، بيروت، ١٩٧٢ .

٦. ابن مالك، محمد بن عبد الله، ألفية ابن مالك، دار القلم، بيروت، د. ت.

٧. ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي، شرح المفصّل، مصر، د. ت.

٨. الزجاجي، عبد الرحمن بن اسحق، الجمل في النحو، إربد، الطبعة الأولى، ١٩٨٤ .

٩. الزمخشري، محمد بن عمر، المفصّل في النحو، كريستانة، ١٨٤٠ .

١٠. المبرّد، محمد بن يزيد، المقتضب، ٢، القاهرة، ١٣٨٦هـ .